## ٤ - علي مبارك وروضة المدارس[١]

عندما نتحدث عن على مبارك والصحافة نجد أن هناك سؤالا يطرح نفسه وهو لماذا فكر على مبارك فى انشاء صحيفة روضة المدارس فى عصر اسماعيل ؟ ولماذا كانت هذه الصحيفة تعليمية بالذات ؟

فى عصر اسماعيل ظهرت بدايات نهضة صحفية حيث سمح فيها للصحف غير الرسمية لأول مرة فى القاهرة والاسكندرية بالظهور فوجدنا مجلات طبية وسياسية وأدبية فظهرت مجلة اليعسوب التى أنشأها الدكتور محمد على البقلى وابراهيم الدسوقى عام ١٨٦٥ وصحيفة وادى النيل التى أنشأها عبد الله أبو السعود عام ١٨٦٦ ونزهة الأفكار التى أنشأها ابراهيم المويلحى ومحمد عثمان جلال عام ١٨٦٩ أى قبل ظهور روضة المدارس بعام واحد كما ظهرت فى الاسكندرية صحف الكوكب الشرقى عام ١٨٧٣ لصاحبها سليم حموى ، والأهرام عام ١٨٧٥ لصاحبها سليم وبشارة تقلا ودخل الصحافى ميخائيل عبد السيد الميدان فأصدر جريدة الوطن عام ١٨٧٧ كما أصدر فى نفس العام سليم النقاش جريدة مصر وكانت هاتان الجريدتان معرضا لآراء وأفكار جمال الدين الأفغانى وأصدر يعقوب صنوع جريدة أبو نضارة زرقاء عام ١٨٧٧ ، وفى عام ١٨٧٨ أصدر سليم عتحورى « مرآة الشرق » وسليم النقاش جريدتى التجارة والمحروسة[٢] ، ورغم ظهور هذه الصحف فإن الميدان الصحافى كان فى حاجة إلى صحيفة متخصصة فى شئون التعليم لكى تستكمل لطلاب العلم ثقافتهم ، ومن هنا رأى على

---

(١) ألقى هذا البحث فى ندوة على باشا مبارك التى يأقامتها الجمعية التاريخية فى ديسمبر ١٩٧٩ .

(٢) للتفاصيل انظر : قسطاكى الياس عطارة : تاريخ الصحف المصرية ، الاسكندرية ، مطبعة التقدم ١٩٢٨ .

مبارك الذى كان جل مرغوبه تعميم العلوم وتتميم المعارف وانتشار الفنون والذى كان يعتبر التعليم وسيلة من وسائل التوجيه وتكوين الرأى العام المستنير ضرورة انشاء مجلة تربوية تعليمية تتبناها وزارة المعارف فأسس مجلة عنونت باسم « روضة المدارس » أسند رئاستها إلى رفاعة الطهطاوى ناظر الترجمة بديوان المدارس كما أسند تحريرها إلى على بك فهمى رفاعة وكان يعمل مدرسا للانشاء بمدرسة الادارة والألسن . وقد قدم على مبارك رفاعة الطهطاوى إلى قراء الجريدة بقوله « لما كان حضرة رفاعة بك ناظر قلم الترجمة بديوان المدارس هو المشار اليه بين أرباب المعارف بالبنان والمعترف بدرجة فضله الرفيعة كل انسان ناسب أن تجعل هذه الصحيفة تحت نظارته لتتحلى من معلوماته بالدر الثمين وينشر علمها فيتلقاها محب المعارف باليمين [١] .

ومع أن رفاعة تولى ادارة هذه المجلة فإنه لم يكن مطلق التصرف فى صفحاتها [٢] . ويتضح ذلك من قوله « ومما يشهر من فضل هذه الصحيفة ويعلى قدرها ويزيد من أهميتها ويرفع ذكرها أن سعادة مدير المدارس جعلها ملحوظة بنظر نظارته لا يتدرج فيها شىء إلا بإشارته » وجعل نفسه أول منتظم فى سلك عدادها وأسبق مبادر لامدادها ومنحها الرئاسة التشريفية والادارة العملية وأحال على الفقير مباشرة تحريرها ومناظرة ما يلزم لتحبيرها [٣] .

---

(١) روضة المدارس : العدد الثانى من السنة الأولى بتاريخ السبت غاية محرم ١٢٨٧ ، ص ٢ ، تحت عنوان « صورة ما ورد من سعادة الباشا مدير المدارس » .

(٢) يذكر الدكتور ابراهيم عبده انه « كان للطهطاوى فى روضة المدارس مطلق التصرف » .

انظر : أعلام الصحافة العربية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة الآداب بالجيزة ١٩٤٨ ، ص ٣٤ .

(٣) روضة المدارس : العدد الأول من السنة الأولى بتاريخ السبت ١٥ محرم ١٢٨٧ هـ ، ص ٢ .

أما عن أهداف هذه المجلة فتتضح من قول رفاعة الطهطاوى « أنه بمقتضى الارادة الخديوية المجابة بالمهمة العلية المباركية ( ظهرت ) صحيفة تعنون باسم روضة المدارس على هيئة مجموعة يتقيد فى جريدتها أى مادة علمية من المواد النفائس بحيث تكون فيها الفوائد المتنوعة والمسائل المتأصلة والمتفرعة أقرب تناولا للمطلع المستفيد وأسهل مأخذا لمن يعاينها من قريب الفهم والبعيد بقلم سهل العبارة واضح الاشارة [١] .

كما وضح المقال الافتتاحى للعدد الأول من المجلة بعدها عن السياسة فيقول محرره « فليس من وظائفها تقييد الأحوال السياسية والوقتية . والأفعال الرئيسية والادارية » [٢] ثم ينتقل محرر المقال الافتتاحى إلى أسباب انشاء هذه المجلة فيقول « فهذه الصحيفة تتكفل إن شاء الله تعالى بانتشار أنواع العرفان .. لينتفع بها كل متولع بالاستضاءة بمصابيح المعارف المستحسنة من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وعلى الخصوص أبناء المدارس [٣] وقد صدر العدد الأول من روضة المدارس يوم السبت ١٥ محرم ١٢٨٧ هـ الموافق ١٧ ابريل ١٨٧٠ كمجلة أدبية علمية تصدر مرتين فى الشهر [٤] وكانت تطبع فى مطبعة « وادى النيل » فى الفترة الأولى من حياتها ثم طبعت بمطبعة

---

(١) روضة المدارس : العدد الأول من السنة الأولى بتاريخ السبت ١٥ محرم ١٢٨٧ هـ ، ص ٤ .

(٢) نفسه ص ٤ .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه

المدارس الملكية بدرب الجمامين [١] ، وكان يطبع من كل عدد منها ٣٥٠ نسخة ثم زيدت إلى ٧٠٠ نسخة [٢] .

ولما كانت المهمة الأساسية لهذه المجلة نشر العلم والعرفان فقد جعل شعارها

تعلم العلم وأقرأ تحز فخار النبوة
فالله قال ليحيى خذ الكتاب بقوة

وقد تولت نظارة المعارف الانفاق على هذه المجلة واصدارها بصفة منتظمة بغرض نشر المعارف الحديثة واحياء الآداب والنهوض باللغة العربية ، فكانت خير معلم للناشئة فى ذلك العهد . خصوصا وأنها كانت توزع مجانا على التلاميذ المتفوقين فى دراساتهم [٣] على سبيل التشجيع والترويج من ناحية والتعويض والمكافأة من ناحية أخرى [٤] حيث كان ديوان المدارس يمنح كلا من الطلاب الثلاثة الأول من كل فرقة بالمدارس الأعداد التى تصدر من الروضة [٥] مما ساعد على نشر العلوم

---

(١) لما رأى على مبارك ضرورة انشاء مطبعة لطبع الكتب المدرسية لأجل « تسهيل التعليم على المعلمين والمتعلمين وصون ما تعلمون عن الذهاب جعل بالمدارس مطبعة ، انظر : على مبارك » ، الخطط التوفيقية ، جـ ٩ ، ص ٤٥ .

ولما كانت روضة المدارس تابعة لنظارة المعارف فقد طبعت بمطبعة المدارس الملكية بدرب الجماميز بدلا من مطبعة جرنال وادى النيل الذى كانت تطبع فيه من قبل .

روضة المدارس : العدد الرابع من السنة الثانية بتاريخ الجمعة ١٥غاية صفر ١٢٨٨هـ .

(٢) عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر ، جـ ٢ ، ص ١٥٣ .

(٣) د. ابراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨ ـ ١٩٥١ القاهرة ، مكتبة الآداب بالجماميز ، الطبعة الثالثة ، ص ٥٢ .

(٤) محمد عبد الغنى حسن ، د. عبد العزيز الدسوقى : روضة المدارس ـ نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعملية ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥ ، ص ٨٨ .

(٥) د. أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ، ص ١٥٣ .

والمعارف وتعويد الطلبة حب المطالعة والبحث ، كما أنها فتحت صحائفها للنابهين منهم لنشر أبحاثهم القيمة فكان ذلك مشجعا لهم مستحثا لهممهم على البحث [١] . ولما خشى ديوان المدارس أن تشغل الروضة بعض الطلبة عن دروسهم . أصدر أمرا بأن « التلامذة لا يشتغلون بمواد الجرنال فى وقت الدروس ولا فى كتابته ما لم يكن فى أوقات الفسحة أو خارجا عن المدرسة » [٢] . كما كان يكتب فيها « من ينتخب من ذوى المعارف ويستحسن نشره بين الناس من الفوائد العلمية لأجل توسيع الأفكار ، وتحريرها يكون بعبارة سهلة التناول وجيزة مفيدة » [٣] مما جعلها ميدانا تتلاقى فيه أقلام العلماء والكتاب والأدباء أمثال على مبارك ، وعبد الله باشا فكرى [٤] ، ومحمد قدرى بك [٥] ، واسماعيل باشا الفلكى [٦] ، ورفاعة الطهطاوى ، والمسيو بروكش [٧] ، والشيخ عبد الله أبو السعود ، والشيخ حسونة النواوى ، والشيخ حمزة فتح الله ، والشيخ حسين المرصفى [٨] ، والشيخ عثمان مُدَوَّخْ [٩] .

---

(١) Dor ( V. Edouard ) : L'Instruction pubiqe en Egypte, paris, 1872 p.253 . ,

(٢) دار الوثائق القومية ، دفاتر مدارس عربى ، دفتر ٤٢٨ ، ص ١٠٣ ، رقم ١٠٧ من ديوان المدارس إلى إدارة المدارس الملكية بتاريخ ١٢ صفر ١٢٨٧ هـ .

(٣) دار الوثائق القومية : دفاتر مدارس عربى ، دفتر رقم ٤٢٧ صادر ٦٦ رقم ٣٠١ فى ١٩ ذى الحجة ١٢٨٦ هـ .

(٤) احيل عليه العلوم العربية والفنون الأدبية .

(٥) اختص بالكتابة فى الجغرافيا والعقائد والأخلاق .

(٦) عهد إليه بالكتابة عن علم الفلك .

(٧) ناظر مدرسة اللسان المصرى القديم .

(٨) طلب منه امداد المجلة بالنوادر الغريبة والمضحكات والألغاز والنكات .

(٩) روضة المدارس : العدد الأول من السنة الأولى بتاريخ السبت ١٥ محرم ١٢٨٧ ، ص ٧ .

ولم يفت على مبارك أن ينشر فى العدد الأول من المجلة مقالا فأمدها بمقال عن انشاء دار الكتب الخديوية ذكر فيه « خلاصة وجيزة تتعلق بما كانت عليه مصر من اهتمام أهلها بالعلوم والفنون فى الأحقاب الخالية ومقابلة ذلك بحالتها التى هى عليها فى تلك الحقبة الحالية » [١] وبعد أن تحدث عن التأخر الذى طرأ على البلاد أشار إلى اهتمام الخديو اسماعيل بالتعليم وذكر أن الارادة الخديوية اقتضت « انشاء دار كتب تكون مركزا يؤدى إليه محبو الاطلاع ومن فيهم رغبة لتحصيل شوارد العلوم » [٢] ثم تحدث عن الخطوات التى تم بها انشاء دار الكتب والظروف التى نشأت فيها فقال « ولما كانت نفائس الكتب العربية متفرقة فى خزائن شتى من بقاع المحروسة .. ولأجل محافظتها كل المحافظة وملاحظاتها بكمال الملاحظة وابقاء ذكر المؤلفين وإحياء سير السالفين صار جلب جميع الكتب الموجودة فى خزائن الجوامع السلطانية وغيرها من الخزائن الفائقة وجعل لها فى دار الكتب محل مخصوص ورتبت فيه بالتراتيب اللائقة [٣] .

ولما كان من أهداف مجلة روضة المدارس نشر العلم والثقافة فقد اهتمت منذ صدورها بالاعلان عن الكتب والترويج لها بالدعاية وخصوصا الكتب التى تصدر عن هيئات علمية أو أدبية - كما قامت بالتعريف عن عدة كتب أولها كتاب « حقائق الأخبار فى أوصاف البحار » [٤] وهو من تأليف على مبارك .

---

(١) نفسه ، ص ٩ .

(٢) نفسه .

(٣) روضة المدارس : العدد الأول من السنة الأولى فى ١٥ محرم ١٢٨٧ ، ص ٩-١٠ .

(٤) هذا الكتاب طبع بمطبعة وادى النيل بالقاهرة عام ١٢٨٧ هـ ويقع فى ٨١ صفحة وهو غير كتاب « حقائق الأخبار عن دول البحار » الذى ألفه الميرالاى اسماعيل سرهنك ناظر المدارس الحربية عام ١٣١٢ هـ أى بعد حوالى ٢٥ عاما من صدور كتاب على مبارك وهو يقع فى جزءين يتكون الجزء الأول منهما من ٧٧٢ ص والجزء الثانى من ٥٨٤ صفحة وطبع فى المطبعة الأميرية ببولاق .

ولم تقتصر المجلة على نشر مقالات عن هذه الكتب بل لجأت إلى طريقة أشمل وهى اصدار هذه الكتب على هيئة ملاحق وفى صورة ( ملازم ) تلحق بآخر كل عدد [١] فنشرت فى عددها الأول من السنة الأولى الملزمة الأولى [٢] من كتاب على مبارك « حقائق الأخبار فى أوصاف البحار » وقد قدم على مبارك هذا الكتاب بقوله أنه بعد اطلاعى على مؤلف جليل فى البحار رأيت « فوائد لا تدخل لكثرتها تحت انحصار فأردت نشرها بين العام والخاص حتى لا يكون عند الانتفاع بها مناص وشمرت عن ساعد الجد بلا توان فى تلخيص رسالة سهلة التناول على كل انسان نوهت فيها بما أودعه المولى سبحانه وتعالى فى البحار من العجائب ونبهت على ما فى حوامل بطونها من الأسرار والغرائب [٣] .

وقد نشرت روضة المدارس هذا الكتاب على هيئة ملازم ابتداء من العدد الأول لسنتها الأولى كما ذكرنا واستمرت فى نشره على فترات غير منتظمة حتى العدد الرابع والعشرين من السنة الثانية [4] وفيه عرضت خاتمة الكتاب وقد قرظ محرر الجريدة هذا الكتاب بقوله أنه

---

(١) بدأ ظهور هذه الملاحق فى العدد الأول من السنة الأولى من المجلة وليس كما يذكر مؤلفا كتاب « روضة المدارس نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية » أن هذه الملاحق ظهرت ابتداء من العدد الثالث وللتحقق من ذلك انظر : روضة المدارس ، العدد الأول من السنة الأولى بتاريخ السبت ١٥ محرم ١٢٨٧ ثم أنظر : محمد عبد الغنى حسن ، دكتور عبد العزيز الدسوقى ، روضة المدارس نشأتها واتجاهاتها ، ص ٧٣ .

(٢) كانت الملزمة تتكون من ٤ صفحات .

(٣) روضة المدارس : العدد الأول من السنة الأولى بتاريخ ١٥ محرم ١٢٨٧ ملحق (١) ، ص ٣ .

(٤) تكرر نشر الملزمة الثانية عشر من كتاب حقائق الأخبار من ص ٤٥ إلى ص ٤٨ مرتين . الأولى فى العدد الثالث من السنة الثانية بتاريخ ١٥ صفر ١٢٨٨ والأخرى فى العدد السادس من نفس السنة بتاريخ الأحد غاية ربيع الأول ١٢٨٨ هـ .

« جاء بحمد الله وعونه مفيدا للطلاب .. لا سيما وإنه أناط سعادة المشار إليه ( يقصد على مبارك ) بتهذيب عباراته وتقريب اشاراته وتقرير مبانيه وتنقيح معانيه حضرة السيد صالح مجدى بك مأمور إدارة المدارس الملكية » [١] .

وفى هذه السنة أيضاً وابتداء من العدد السادس عشر [٢] ، نشرت الملازم الثلاثة الأولى من كتاب « تنوير الافهام فى تغذى الأجسام » [٣] وهو من تأليف على مبارك وعنه قال « يقول الراجى فيما يعود بالنفع نجاح الأعمال على مبارك باشا مدير المدارس والأشغال لما كان من الأمور التى ينبغى البحث فيها عن الحقيقة والوقوف على كنهها بأسهل طريقة معرفة كيفية تغذى جسم الانسان بما يتناوله من الأطعمة فى جميع الأحيان .. وقد عثرت فى هذا الفن على كتاب جميل .. ترجمته مع الاختصار من اللغة الفرنساوية إلى اللغة المنيفة العربية وجعلته سهل التناول لكل راغب فيه وسائل » [٤] وقد استمرت المجلة فى نشر هذا الكتاب فى أعداد متفرقة فى ثمانى عشرة ملزمة مكونة من ٧٢ صفحة نشر آخرها فى العدد السابع من السنة الثالثة بتاريخ ١٥ ربيع ثانى ١٢٨٩ وقد قرظ على فهمى رافع بن رفاعة الطهطاوى هذا الكتاب بقوله « لما كان العمل المبرور السعى فى تنوير افهام الجمهور كان سعادة افندم على مبارك باشا مدير المدارس الملكية الذى له من اسمه العلى ولقبه

---

(١) روضة المدارس: العدد ٢٤ ختام السنة الثانية بتاريخ السبت غاية الحجة ١٢٨٨ هـ ، الملحق ص ٨١ .

(٢) تاريخه غاية شعبان ١٢٨٨ هـ .

(٣) طبع هذا الكتاب بمطبعة المدارس الملكية بدرب الجماميز عام ١٢٨٩ هـ .

(٤) روضة المدارس ، العدد السادس عشر من السنة الثانية بتاريخ الأحد غاية شعبان ١٢٨٨ هـ ، ملحق الصحيفة ، ص ٢ .

المبارك أوفى نصيب وأوفر مزية .. حيث غرس فى روضة المدارس تراجم عدة .. كان منها هذا الكتاب الجليل والسفر الذى عز عن التنظير والتمثيل المسمى « تنوير الافهام فى تغذى الأجسام وقد أحسن بعد ترجمته فى تهذيب معانيه وترتيب مبانيه حضرة ذى المعارف السنية السيد صالح مجدى بك مأمور ادارة المدارس الملكية » .

ومما كتبه على فهمى رفاعة يتضح أن هذا الكتاب من مترجمات على مبارك وأن الذى نقحه ورتبه السيد صالح مجدى مأمور المدارس الملكية » .

أما الكتاب الثالث الذى نشرته روضة المدارس لعلى مبارك على هيئة ملازم فهو « خواص الاعداد » [١] ، وقد قال على مبارك عن أسباب تأليفه لهذا الكتاب « وبعد فقد اطلعت على بعض كتب فرنساوية مشتملة على نفائس مسائل حسابية وقد ذكر فيها بعض خواص للاعداد وما يتعلق بعلم الأوفاق من المواد فاستحسنت أن أفصح عنها بلسان التعريب لما أنها اشتملت على كل معنى غريب .. هذا وأن المسائل الواردة فى هذه الرسالة بعضها محلول بطرق الاثباتات والبراهين ، وبعضها مذكور بغير حل وتبيين » [٢] وقد نشرت الملازم الثلاثة الأولى من هذا الكتاب ابتداء من العدد السابع عشر من روضة المدارس فى سنتها الثانية واستمرت فى نشره على أعداد متفرقة حتى العدد الثالث والعشرين من السنة الثالثة فى ست وعشرين ملزمة مكونة من ١٠٤ صفحة وقد قرظ على فهمى رفاعة هذا الكتاب بقوله « يا له من كتاب

---

(١) طبع هذا الكتاب بمطبعة المدارس الملكية بدرب الجماميز عام ١٢٨٩ هـ .

(٢) روضة المدارس : العدد السابع عشر من السنة الثانية بتاريخ الاثنين ١٥ رمضان ١٢٨٨ هـ .

تخير من خواص الأعداد مسائل صحيحة الجمع وسير فى ضمن روضة المدارس جداول أوفاق عذبة يروى منها الذوق ويسر بها السمع وكم فيه من أحجية وقفت عندها الحجا وفى حل مشكلة أنار معه الدجى » [١] .

وفى السنة السابعة من حياة المجلة نشرت فى العدد العشرين الملزمتان الأولى والثانية [٢] من كتاب « تفكرة المهندسين » لعلى مبارك حيث قرظه على فهمى رفاعة بقوله أن هذا الكتاب من « تأليف رب المعارف الساطعة والتآليف النافعة الأمير الشهير سعادة على مبارك باشا مستشار الأشغال العمومية » [٣] وقد استمرت المجلة تنشر ملازم هذا الكتاب حتى عددها الأول من السنة الثامنة [٤] ويذكر لنا على مبارك نبأ تأليف هذا الكتاب بقوله أنه كان يشغل أوقات فراغه بالمطالعة وكتابة التعليقات فى ورقات جمعها بعد ذلك فصارت كتابا مفيدا فى فنون شتى مما يحتاج إليه المهندسون [٥] كما يتضح أن على مبارك قد عرض هذا الكتاب على بعض معلمى الرياضة قبل نشره إذ يقول « بقى عندى أن أطلع عليه بعض معلمى الرياضة فى المدارس الملكية وغيرهم » [٦] .

وبعد هذا العرض الوجيز يتضح لنا أن انشاء مجلة روضة المدارس كان من ثمار تفكير على مبارك حين كان ناظرا للمعارف ، كما يتضح أن

---

(١) روضة المدارس : العدد ٢٣ من السنة الثالثة بتاريخ ١٥ الحجة ١٢٨٩ هـ .
(٢) أصبح عدد صفحات الملازم فى هذا الكتاب ثمانية بدلا من أربعة .
(٣) روضة المدارس : العدد العشرين من السنة السابعة بتاريخ شوال ١٢٩٢ هـ .
(٤) روضة المدارس : العدد الأول من السنة الثامنة بتاريخ الاثنين ١٥ محرم ١٢٩٤ هـ .
(٥) روضة المدارس : العدد العشرين من السنة السابعة بتاريخ غاية شوال ١٢٩٢ هـ .
(٦) نفسه .

على مبارك قد أمد هذه الصحيفة بمقال تقريرى عن انشاء دار الكتب كما أمدها بأربع من كتبه فنشرتها على هيئة ملازم وهذه الكتب هى :

١ - حقائق الأخبار فى أوصاف البحار .

٢ - تنوير الافهام فى تغذى الأجسام .

٣ - خواص الأعداد .

٤ - تفكرة المهندسين .

والجدير بالذكر أن هذه الكتب ومعظمها مترجم عن الفرنسية نقحت بعد ترجمتها للعربية بمعرفة صالح مجدى مأمور ادارة المدارس الملكية .

لقد توقفت روضة المدارس بعد أن صدر العدد السادس عشر من سنتها الثامنة دون أن تذكر السبب الذى دفعها إلى هذا التوقف بل كان هذا العدد مليئا بالخطب الافتتاحية والختامية التى كانت تلقى فى المدارس والمكاتب الأهلية عام ١٢٩٤ هـ [١] وبعد أن استمرت قرابة ثمانية أعوام إلا أربعة أشهر تصدر أعدادها فى مواعيدها بانتظام مرة كل أسبوعين ابتداء من ١٥ محرم ١٢٨٧ وحتى غاية شعبان ١٢٩٤ هـ .

* * * * *

(١) انظر روضة المدارس : العدد السادس عشر من السنة الثامنة بتاريخ غاية شعبان ١٢٩٤ هـ .